تفريغ

سلسلة:

{ولكن كونوا ربانيين}

للشيخ:

أبي محمد المقدسي

الشريط الثاني

التفريغ العلمي
@convertatow

التفريغ العلمي
@convertatow

تقدّم لكم:

{وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ}

السلسلة المرئيّة الأولى:
{وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ}
للشيخ الإمام المجدد أبو محمد المقدسي حفظه الله

التي يتحدث بها عن سيرة حياته

نشيد:

وتوحيدنا عـــزّة المسلمين ... به قد قهرنا عنيدًا ظلوم

فلا عصبة تستبيح الحياة ... وتجعل منها دماء لحوم

التفريغ العلمي
@convertatow

التفريغ العلمي
@convertatow

الحلقة الثانية:

ترك جماعة سرور والالتحاق بجماعة جهيمان

الحمد لله رب العالمين، وصلى اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

"سيد عيد" في مرحلة لاحقة التصقت فيه أكثر بعد ما تركت جماعة محمد سرور التصقت فيه أكثر، وحضرت له دروس أكثر، وجلست معه في بيته أكثر، بل كنت أعمل معه في مرحلة توقفي قبل الثانوية، قبل الدراسة الجامعية مرحلة انتظار للقبول كما يفعل الطلبة عادة؛ اشتغلت معه وكنت أساعده في بعض أعماله أذهب معه، اشتغلت مؤقتًا معه في تخليص الكتب من الجمارك، في بعض المسائل كنت أعرفها، كنت أرافقه وقريبًا منه كثيرًا، وأسمع منه، ويذكر لي بعض القصص وبعض الأشياء، كنت استنكر أحيانًا مثلاً ما يقوله بعض الكتّاب المصريين من الإخوان عن سيد قطب من دعاوى تأويل كلامه وأنه ما يقصد كذا أو يقصد كذا، وترقيق كلامه وتحريفه، فكان هو يردّ عليهم ويذكر لي بعض الأشياء التي سمعها بنفسه من سيد والتي يعرفها جيدًا، وكنت أفرح بهذا الأمر، حتى إني طمعت في مرحلة من المراحل أن يدرّسني كتاب من كتب سيد حتى يكون لي كسندٍ عالٍ أني درست عليه، ولكن أنا سمعت أكثر الظلال منه من كثر الجلسات التي جلستها في بيته، كثير من المسائل كان يذكرها لكن أحببت كتابًا مخصصًا لي، فعرضت عليه هذا الأمر ففوجئت مع تعلقي بهذا [حيث] كان في فترة الانقطاع عن جماعة محمد سرور فوجئت برده عليّ -رحمه الله، طبعًا توفي الرجل- وهذا الذي حسّسني بأن العلاقة مهما طالت بيني وبين الشخص ما لم تكن علاقة تنظيميّة فهناك يبقى حاجز وخصوصية للعلاقة التنظيميّة تميزها عن هذه العلاقة العامة.

فقال لي آنذاك: "أن الحاقات دِه ما تنفعش إلا داخل إطار تنظيمي".

يعني مسائل التدريس إنك تدرس عندي، وهذا الأمر أنا تضايقت منه آنذاك، لكن حقيقة تعذر هؤلاء الناس عندما تجرب في الحياة؛ فعندما أنت تأتي تدرّس مجموعة من الشباب خمسة ستة تدرسهم أي كتاب من الكتب العلميّة ثم يأتي واحد من هؤلاء الشباب بدون إذنك أو بدون تقدير

التفريغ العلمي
@convertatow

التفريغ العلمي
@convertatow

لك يروح يعمل أي عمل مادي غير مدروس ولا يطلعك عليه ألا يجرجرك ويجرجر الخمسة الجالسين معك في هذا الدرس؟!

وهذا تكرّر مرارًا وتكرارًا أنّ أخًا تجده يدرس عندك، ويعمل عندك، ثم يقوم بأيّ عمل ليس فيه فائدة للإسلام والمسلمين دون مشورة مشايخ، ودون الرجوع إلى إخوانه، والذين يعتبرهم رؤوسه ونحو ذلك، فلا شكّ أنّ هذا الأمر ضبط المسائل التي كانت تحرص عليها هذه الجماعات وهذه التنظيمات، ولأننا كنا نحن شبابًا صغارًا نستغربه ونتعجب منه.

هذا الضبط لابدّ منه وإن كنّا نحن نستنكر الغلو فيه، ونستنكر التقفيل على الشباب، وأنه لا ينبغي أن تحتك بأحد خارج التنظيم، ليس إلى هذا الحدّ، ولكن لابدّ إذا كان هناك بينك وبين الشباب عمل، وكنت تحترم هذا العمل، وتريد أن تحقق ثمرات هذا العمل، ما يصلح أن يعمل الإنسان معك في جهد ثم يقوم هو من خلفك يعمل بأعمال أخرى ربما أنت لا ترتئيها في هذه المرحلة، هذا يعني ما فيه إنسان يحترم العمل التنظيمي، ويحترم المواثيق والعهود وكذا، يرضى بمثل هذا الأمر؛ أن تدرّس شباب ثم واحد من هؤلاء الشباب يقوم بعمل أنت غير مرتضيه، وهو منتظم معك في درس خاص، أو في جلسة خاصة، أو في عمل خاص، لا شكّ أنه سيُلحق بك تبعيات، وهذا يذكرني بحديث أو في قصة أبي بصير الصحابي الجليل الذي لم يتمكن من الهجرة بسبب ما كان من صلح الحديبية بين النبي صلى الله عليه وسلم والكفار، وكان من الشروط أنّه من جاء النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين ردّه إليهم، فكان أبو بصير من هؤلاء الناس الذين رُدّوا، ولم يستطيعوا أن يهاجروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بسبب هذه الشروط التي كانت في العهد -في صلح الحديبية- فما كان من أبي بصير إلا أن استغلّ هذه الظروف؛ هو الآن لا يؤثّر على هذه الجماعة المسلمة، ولا يؤثّر على المسلمين بأيّ عمل سيقوم به لأنّه لا يتبع إلى ولايتهم السياسيّة، فهو غير محسوب عليهم الآن لأنّه هو لم يتمكن من الانحياز إلى الدولة المسلمة، فاستغل هذا الظرف أنه لن يؤثّر وعمل له جماعة، ولجأ إلى الجبل، وأخذ يُغِير على قوافل قريش، ويغنم منها، ويقتل ويقتل حتى تنازلت قريش عن ذلك الشرط الذي كان بعض المسلمين قد تضايقوا منه، أو كانوا يظنون أنّ فيه ضيمًا لهم أو فيه تنازل منهم بالرضى به، تنازل المشركون عن هذا الشرط بسبب بركات فعل أبي بصير.

التفريغ العلمي
@convertatow

التفريغ العلمي
@convertatow

وكنت دائمًا أتدبّر أن من يريد أن يعمل عملاً ماديًّا باجتهاده الشخصيّ فلتكن له مثل هذه الصورة؛ عمل ماديّ فرديّ نكائيّ بحت خارج عن مراحل العمل الذي يصبُّ في مرحلة التمكين، فلابدّ أن تكون له مثل هذه الصورة أنّه لا يضرّ الجماعة الأم، ولا يضرّ بالمسلمين الذين يعملون لإقامة دين الله، فهذه صورة مشرقة من صور العمل النكائيّ الذي لم يتضرّر المسلمون بسببه.

فنحن للأسف ربما نستغرب عندما نقول أن الجماعات عندها تنظيم، وتحرص على العمل التنظيميّ، وأنا مثلاً تضايقت جدًا في مرحلة من المراحل عندما كانت جماعة محمد سرور تنكر عليّ ذهابي لجماعة جهيمان ودراستي عندهم، وذهابي إلى الشيخ "سيد عيد" وحضوري لدروسه، كانت تنكر عليّ، لأنّه أيّ جماعة عندها عمل تنظيميّ لا تقبل لأفرادها أن يذهبوا إلى الجماعات الأخرى؛ ربما ليس بسبب ما نخشاه اليوم ويتكرر من أخطاء إخواننا أنّه يقوم بعمل تنظيميّ دون إذن مشايخه، أو يقوم بعمل ماديّ دون إذن مشايخه فيجرّ الويلات والابتلاءات على إخوانه دون أن يعرّفهم وهو معهم لم ينحاز عنهم عندما قام بذلك العمل، ليس لأجل هذه الأسباب كانت تلك الجماعات تمانع من تردّدنا على الجماعات الأخرى، وعلى دروس المشايخ الآخرين؛ وإنما على ما أظن أنّ القضيّة قضيّة البوتقة التنظيميّة التي كانوا يغلقونها على أفرادهم حتى لا يتأثّر الإنسان بأفكار الآخرين، حتى لا تذهب لجماعة أخرى منافسة لجماعتك فتقول لك هذا محمد سرور عنده كذا وعنده كذا فتسمع أخبار جماعتك من آخرين وانتقادات، أو تتأثّر مثلاً ببعض غلو من يرونهم غلاة، وبعض تشدّد من يرونهم متشدّدين، أو أن تنتحل أفكارًا هم غير راضين عنها، فكان يغلق عليك الإطار التنظيميّ، وأنا من أسباب فصلي من جماعة محمد سرور أني لم أكن أعبأ بهذه التنبيهات والتحذيرات، لا تحضر لسيد عيد أو لا تذهب إلى جماعة جهيمان، أنت لك ترتيبك ولك دروسك، وأنت تذهب بدون إذن، فكنت لا أأبه لأنّي حقيقة في تلك المرحلة كنت أستفيد؛ فكنت أسمع من سيد عيد، وأعجب بأنه كان قريبًا، كان لصيقًا بسيد قطب، فكنت أحب أن أسمع منه يعني أشياء وأخبار ومعلومات عن سيد قطب، أسمع من هذا الشخص المعني تمامًا في الظلال وفي سيد، أسمع منه كلام سيد، وأسمع منه شرح كتب سيد.

وكذلك جماعة جهيمان في ذلك الوقت أنا تعلقت فيهم وأحببتهم لماذا؟

التفريغ العلمي
@convertatow

التفريغ العلمي
@convertatow

وهذا كان بعد حادث الحرم، الآن تقدّمنا قليلاً في مرحلة رجوعي من الجامعة، تقريبًا هذا الكلام الآن المرحلة التي فصلت فيها من جماعة محمد سرور كان لي احتكاك قوي في جماعة جهيمان، كانوا هم الذين أثّروا عليّ في الخروج من الجامعة، هم الذين بدؤوا يؤثّرون عليّ في قضية تحريم الجيش والشرطة، كنت أنقل هذه الفكرة لبعض أفراد جماعة سرور، وأنتقدهم لأجل دخولهم في الجيش ونحوها، فأنا كنت في تلك الفترة أُعجب ومتعلق في دروس جماعة جهيمان؛ كان عندهم من الدروس والتركيز على مصطلح الحديث والحديث وتخريج الأحاديث والتعلق بالسنة ونحو ذلك ما لم يكن موجودًا عند جماعة سرور.

ففي هذه المرحلة تقريبًا بدأت الاحتكاكات مع جماعة محمد سرور والمخالفات التي ممكن [أن] نسميها: "المخالفات التنظيميّة" تظهر، وإضافة إلى خروجي من الجامعة، وكتابتي بحث آنذاك في حرمة الجامعات المختلطة –على قدي– كان بداية التوجه وأول تجربة بالكتابة، لكن أنا أردت أن أحشد فيه أقوال العلماء والأدلة على أنّ الاختلاط حرام، وأنّه فتنة، ومسائل من هذا القبيل، واجهت الجماعة بهذه المسألة.

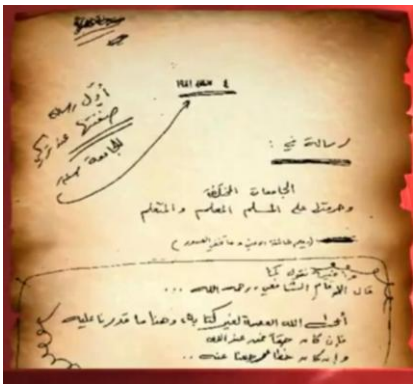

أول رسالة صنفها الشيخ عند تركه الجامعة

والاحتكاك مع أفراد الجماعة كان في القضايا التي بدأت تظهر؛ تحريم العمل في الجيش، إنكاري على بعض أفرادهم العمل في الجيش، كذلك إصراري على حضور دروس عند سيد عيد، وعند جماعة جهيمان، طبعًا جماعة محمد سرور بدأت تضيق بعدم التزامي وانضباطي بأن لا أذهب للجماعات الأخرى، ولا أحضر دروسًا عند آخرين وكذا، وكان يلفت انتباهي لهذا وأأبى، لأنّي كنت أحرص على ما ينفعني؛ أن هذه الدروس تنفعني، وأنا لم أجد ما يروي غليلي عند الجماعة في مسائل؛ مثلاً أنا كنت أرى عند هؤلاء

التفريغ العلمي
@convertatow

التفريغ العلمي
@convertatow

الشباب "جماعة جهيمان" طلب علم، حديث، تخريج أحاديث، مصطلح حديث هذه العلوم ما كانوا يعطوني إيّاها الجماعة -على الأقل حتى لا نظلمهم- في تلك المرحلة، ما كانوا يشفوا غليلي، فكنت أحرص على الذهاب والدراسة هناك عند هؤلاء الشباب.

وممن درست عليهم أيضًا ودرست عنده "علل الترمذي" ولم أكمله كاملاً لكن درست منه قطعة، ومن خلال ذلك علّمنا المصطلح شيخ كان مع جماعة جهيمان في فترة وهم فرّغوه وأعانوه وهيّئوا له التفرغ لطلب العلم، معروف مشهور الآن اسمه الشيخ: "عبدالله الجديع"، طبعًا اسمه كان: "يوسف" هو اسمه الحقيقي أو "يعقوب اليعقوب" كما يقول هو، لكن هو شهرته الآن أصبحت الشيخ: "عبدالله الجديع"، وله مصنّفات ومؤلفات ومتمكّن في الحديث والتخريج، وإني سمعت الآن بعد ما خرجت من السجن يقال إنه تغيّر ووجدت ردودًا لكثير من المشايخ عليه في قضيّة الغناء ومسائل أخرى، لكنّه كان متمكنًا في الحديث فدرسنا عنده الحديث.

ولذلك هذا كان مما يجذبني في تلك المرحلة؛ طلب العلم، وعدم وجود من يدرسني في هذه الأبواب في الكويت تحديدًا، كان هو الأمر الذي يجذبني لهذه الجماعة.

الشاهد وصلنا إلى مرحلة أصبحت أوصف في الجماعة أنّني فوضوي أو متمرد أو غير ذلك، وهذه عبارات كان محمد سرور لمّا كان يدرّسنا قديمًا؛ كان ينتقد عليها الإخوان الذين كانوا يصفون أمثال "مروان حديد" بها، فأذكر مثلاً كنت أسأله عن "مروان حديد" فيذكر لي أشياء طيّبة عن مروان حديد، "مروان حديد" معروف الداعية المجاهد الذي قتل في سوريا وكان من المجاهدين في فلسطين وضدّ النظام السوريّ، فكان يذكر لي ثباته في السجن وابتلاءه وتعذيبه حتى توفي، وأنه لمّا توفي كتب رسالة على صابونة بأظفره هكذا حفرها يوصي أتباعه من بعده أن يواصلوا مسيرة الجهاد وغير ذلك وذكر لي عنه أمورًا.

- فقلت له: هل كان من الإخوان؟
- فكان يقول: لي في مرحلة من المراحل كان من الإخوان ولكن الإخوان فصلوه.
- قلت: لماذا؟!
- قال لي: لأنهم كانوا يقولون عنه فوضوي.

التفريغ العلمي
@convertatow

التفريغ العلمي
@convertatow

- قلت: ايش فوضوي؟!
- قال: أي أنه يتعجّل الجهاد ويريد الجهاد وكذا، وابتسم هكذا وقال: الله يكثر الفوضويين.

طبعًا لمّا دارت الأيام والسنون الآن رأيت شيخي الذي كنت أُعجب به وأراه قدوة لي أصبح يقول المجاهدين فوضويين، ويقول عنهم يضعون فتوى شيخ الإسلام في مكان ليس مكانها، ويتكلم عليهم كثيرًا -أحزنني هذا جدًا- أنّه هو الذي كان ينتقد على الإخوان هذا أصبح يوجّه هذه التهمة إلى المجاهدين.

طبعًا في مرحلة من المراحل أصبحت أنا أيضًا فوضوي لسبب أنني لا ألتزم بأوامر الجماعة؛ أحضر هذه الدروس التي تنفعني، أتكلم بحرمة الجامعات والجيش بين أفراد الجماعة في تلك المرحلة رغم النهي والمنع لي، هذا كله كان يتجه بي إلى اتجاه الفصل من الجماعة، وأنا كنت أعرف ذلك وكنت أنتظر منهم أن يفصلوني، هم كانوا ينتقدون على الإخوان؛ أن الإخوان يفصلون كأن الدعوة شركة مساهمة تنفصل منها!!

فكنت أنتظر أن يخرج منهم قرارًا مثل قرارات الإخوان التي ينتقدونها، كثير من المسائل أنا كنت أذكرهم فيها بالإخوان؛ أذكر أنّا كنا ندرس في حلقة في بيت الشيخ "سامي الدلّال" كان هذا في فترة من الفترات مسؤول الأسرة التي كنت أدرس فيها، وكان يدرّسنا عدّة أشياء منها كتاب للجماعة نفسها ينتقد الإخوان اسمه: "دراسة وتقويم في حركة الإخوان المسلمين"، يعني نقد للإخوان المسلمين، كانوا يدرسونا إيّاه في الحلقات الداخليّة للجماعة لأنهم يعتبرون أنفسهم دعوة تصحيحيّة للإخوان المسلمين، فمرّرنا في مرّة من المرّات على موضوع من الانتقادات على الإخوان أن عندهم مرشد مجهول، وأن لهم في التنظيم الدوليّ مرشد لا يعترفون باسمه أو لا يذكرون اسمه للناس، هذا مرشد مجهول، وأنّ له بيعة على الإخوان في العالم كله، هذا من الانتقادات، وذكروا أنّه لا يصح البيعة لمجهول و.. و.. و.. وأشياء من هذا القبيل، فأنا أذكر من الأشياء التي كانت تعدّ مشاغبات آنذاك أنّي عندما انتهى الدرس وكنّا منصرفين، وكانت عادته أن يوصلنا في سيارته لأنّنا كنّا شباب مدارس ما عندنا سيارات، ففي السيارة قلت له: نحن درسنا اليوم أنّ من الانتقادات على الإخوان المسلمين أنّ المرشد الذي يبايعونه مجهولاً، ونحن الآن يا أستاذ أوجّه لك سؤالاً: من مرشدنا أو من المسؤول؟!

طبعًا هذا السؤال كان محرجًا ليس لأجل المقارنة بين الإخوان وبيننا، وإنّما بحدّ ذاته إثارة هذا السؤال في جماعة لا تُظهِر المعاني التنظيميّة بين أتباعها.

التفريغ العلمي
@convertatow

التفريغ العلمي
@convertatow

أنا قلت لكم أنّه من ذكائهم أنّهم كانوا يرتقون بالشباب في المراحل التنظيميّة دون أن يقولوا له نحن تنظيم بايعنا، ونحن جماعة كذا كما يفعله كثير من دراويش هذا الزمان، وإنّما كان يرتقي بك، وتحبّب للجماعة، بل تصل إلى مرحلة التعصّب لها والدفاع عنها وأنت لا تعرف أنّ هذا تنظيم، ولم يطلب منك في يوم من الأيام أن تبايع هذا التنظيم، [لكن] من حبك لهم والدروس، والكتب، والرحلات والكذا، وتُسلّم بعض الأعمال في بعض المساجد، ورعاية بعض الشباب وتحضر وهكذا، تصبح تتعصّب للإهانة لهذا التجمع دون أن تعرف أنّ هذه جماعة أو تنظيم.

ولكن مجرّد هذا السؤال فتح الأعين على أنّه نحن جماعة، فانحرج هو، وبدأ يجيب إجابة هكذا يلف ويدور حول المعنى، وأنّه قد لا تقتضي المرحلة أن يكون هناك أميرًا، هذه الكلمات التي قالها ربما تحتاج أن يكون مجلس شورى، وقال بعض هذه الكلمات ثم ايش؟! بنشرت[1] السيارة، فأنقذت الشيخ من الإجابة، فنزلنا نساعده ونصلح العجل، وكذا وصّلنا ونسي أن يكمل، هذا ما أذكره، حتى واحد من الشباب ما زال موجودًا، هذا الشاب قال مازحًا: كله من سؤالك يا عصام بنشرت السيارة، أو شي من هذا القبيل، فذهب السؤال والجواب.

هذه المشاكسات أحيانًا جعلت مسؤول الأسرة يضيق بي، وليس شرطًا هذا الذي ذكرته الشيخ "سامي الدلّال" قد يكون غيره، وكانت سببًا في أن يتولى تدريسي في مرحلة من المراحل أنا وآخرين يتصفون بصفتي عند الجماعة أن عندهم شيء من الفوضى وعدم الانضباط، تولى في مرحلة من المراحل تدريسي محمد سرور نفسه، وهذه ميزة قَلَّ من حصّلها في الجماعة، فدرست عنده كتاب: "التوحيد"، وكنت أذهب لبيته في منطقة بعيدة: "الجهراء" مع أنّي كنت أسكن بـ"السالميّة"، أنا ومجموعة من الشباب نحضر عنده هذا الدرس أسبوعيًا.

وكان يُظهِر مودة ومحبة لي ويقول لي: أنت عصام وأنا أبو عصام؛ لأنّ ابنه الكبير [الذي] توفي في حادث سير وكان اسمه: "عصام"، فكانت حقيقة علاقة مودة بيننا، وأنا لازلت أُكنّ لهذا الرجل الاحترام لأجل قول النبي صلى الله عليه وسلم: (حُسنُ العَهدِ مِنَ الإِيمَانِ)، وأول ما التزم الإنسان مع هذه الجماعة، بغض النظر عن كل ما يقال في هذه الجماعة أو ما نخالفهم فيه، لكن يبقى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (حُسنُ العَهدِ مِنَ الإِيمَانِ)؛ إن لهم فضلاً علينا في بداية الالتزام، فهم بصّرونا على الأقل ولو تبصرة وتهيأة وتأسيسًا إلى هؤلاء الحكام، وأنّهم كفرة، وأنه لا ينبغي أن تكون علاقات بيننا وبينهم وغير ذلك من الأمور البدائيّة التي هيّأت إلى هذا التوجّه.

[1] (بنشرت) كلمة انجليزية الأصل (puncher) وتعني ثقب في إطار السيارة.

التفريغ العلمي
@convertatow
التفريغ العلمي
@convertatow

طبعًا في مرحلة بعد ذلك طُلبت للجماعة لمّا كثرت هذه المخالفات في عرف الجماعة؛ أنّك تدرس عند غيرهم، وتحضر لغيرهم، وتتكلم فيما منعت منه؛ من الكلام في الجامعات المختلطة، والجيش وحرمته ونحو ذلك، طُلبت أنا، طلبني الشيخ "سامي الدلّال" وأخبرني بأنّني الآن لست من الجماعة، وأنّني أُمثّل نفسي، ولم أعُد في الجماعة، أخبرني بذلك رسميًا، وكنت أنتظر هذا اليوم، فأنا خلاص كنت معتبرًا نفسي خارج الجماعة، وكنت غير منضبط في المسائل هذه، وكنت قد وصلت إلى مرحلة أنا بدأت أنتقد الجماعة بيني وبين نفسي، وأخالفها في أشياء، وأحس أنّي خلاص ما عند هذه الجماعة أخذته وأنا أبحث عن شيء آخر أعلى مستوى منها، فلذلك لم أنصدم بهذا الخبر، وإنما حقّقت منه، ولم أتفاجأ فيه، بل أنا كنت أعتبر نفسي خارج الجماعة، لكن هم أخبروني بذلك رسميًا، فوقعوا بما كانوا ينتقدون به الإخوان من أنهم كانوا يقولون أنّ هذه كشركة مساهمة تفصل ونحو ذلك.

ولابدّ إذا كان يوجد عمل تنظيميّ، وكان الإنسان غير مرتبط و[غير] منضبط تنظيميًا ما تستطيع تستوعبه تنظيميًا لابد إمّا أن تتركه ويبحث له عن جماعة أخرى، وإلا[فإن] العمل التنظيميّ يقتضي الضبط والربط، وإن كان فيه ملاحظات على قضيّة الدراسة وطلب العلم، وإذا ما وجدت ما يشفي غليلك عندهم فاذهب إلى آخرين، فالأصل إذا كنت أنت تثق بنفسك وتثق بعقيدتك ومنهجك وما تطرحه لجماعتك لا تخاف على شاب يذهب يحضر درس مصطلح حديث عند جماعة أخرى.

على كل حال طوينا هذه الصفحة، وبدأت علاقتي الآن بأريحيّة مع جماعة جهيمان، طبعًا جماعة جهيمان الفترة التي أنا كنت أحتكّ فيهم، وأحضر دروسهم، وتأثّرت في طلب العلم معهم كانت هذه بعد حادث الحرم، أمّا هذا الكلام الذي أتكمله بهذه المرحلة المبكرة فكانوا ما زالوا حتى توجههم مع جماعة جهيمان لم يظهر، كانوا سلفيين لكن بعد خروجي من الجامعة وتركي للجماعة ومراحل أخرى تزوجت وسكنت قريبًا من منطقة، كانوا هم عندهم بيت تركوا فيه مكتبة الشيخ "علي الجعفان" -رحمه الله- جعلوها وقفًا بعد ما أُعدم في الحرم مع جهيمان، هذا من مشايخهم البارزين، كان يماني، فمكتبته كانوا أهله محتاجين، اشتروها هم منهم فجعلوها وقفًا، فكانت بالنسبة لي في ذلك الوقت مكتبة شبه متكاملة؛ فيها كتب السنة كاملة، فيها المراجع التي تحتاجها لعمل أي بحث، فكنت أتردّد على هذا البيت، كانوا يسمونه ملحقًا بالكويت، تعرف الملحق؛ توجد العمارة وجنبها يكون ملحقًا، فكنا نتردد عليه ونطلب العلم فيه ونقرأ أحيانًا معًا في بعض الكتب، وإذا كنت أريد أن أعمل بحثًا أو شيئًا أستعين بهذه المراجع التي كانت متوفرة، وبالنسبة لي كانت مكتبة كبيرة.

التفريغ العلمي
@convertatow

التفريغ العلمي
@convertatow

كانت هذه تقريبًا المراحل الأولى في التوجه بعد ترك الجماعة، وكما ذكرت آنفًا -باختصار في كلامي على مراحل الدراسة- أنّي عندما ذهبت إلى المدينة بدأت المرحلة الحقيقيّة للتوجّه باتجاه تبنّي هذه المسائل التي خالفنا فيها كثير من الناس التي هي مثلًا: تكفير الجيش والشرطة، تكفير الأنظمة، تكفير البرلمانات، القول في أنّ الديمقراطية كفر، المسائل التي جهرنا بها، وكتبنا فيها، وصنّفنا فيها في تلك المرحلة؛ مرحلة مكوثي في المدينة المنورة ليس هذا تأثرًا بمشايخ الجزيرة، لا، [بل] كان ذلك تأثرًا في كتب علماء أئمّة الدعوة النجديّة وربط هذه الكتب في الواقع؛ فعلى سبيل المثال عندما كنت أقرأ في "الدرر السنيّة" عن تكفير علماء نجد لعساكر الدولة التي هي دولة "محمد علي باشا" الدولة المصريّة، التي كانت في مرحلة من المراحل تابعة للدولة العثمانيّة، عندما غزوا "الدرعيّة" لمّا استعان بهم أحد "آل سعود" على أخيه واستنصر بهم، خرجت كتب آنذاك الذي هو كتاب: "الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك"، وكتاب: "سبيل النجاة والفكاك"، قرأت أنا خلال تقليبي لكتب علماء نجد أنّ هذين الكتابين صنّفا في تكفير عساكر الدولة الذين استعان بهم من استعان ضدّ المسلمين في نجد، فبدأت أفكر؛ عساكر الدولة؟! من الدولة هذه؟! الدولة العثمانيّة أو من يتبع الدولة العثمانيّة؟! الدولة المصريّة كانت تابعة للدولة العثمانيّة قبل أن يخرج عليها "محمد علي باشا" أو في مراحل.

الآن دولة "محمد علي باشا" ما الفرق بينها الآن وبين هذه الدول؟! كان يُحكِّم القانون في مرحلة من المراحل، كفروا الجيش، وتقرأ في العبارات "عساكر القوانين"، لا، هذه قليلة ما قالوا: "عساكر"، قالوا: "أسباب التكفير أنّهم يُحكِّمون القوانين" هذه اللفظة لا، لكن قالوا: "عساكر القباب"، فهذا ذكر الأدلة التي يكفّر فيها العلماء من تولى اليهود والنصارى وتنزيلها على من تولى هذه الدولة التي تحكم بالقوانين، ذكر كفر من استنصر فيهم على الموحدين في نجد، ذكر هذا أول ما لفت انتباهي في المسألة هذه بدأت أنظر وأقارن وأقول حسنًا؛ نحن هذا هو واقعنا، ما فيه إلا شيء بسيط جدًا أحتاج بعض أدوات العلم، بعض مسائل العلم، التبصر، الجرأة أنّك تسحب هذه الفتوى وتنزلها على حكومات هذا الزمان وعساكرها، لن آتِ ببدع من القول إن فعلت ذلك، فهذه المسألة أخذت تدور في خلدي وأن أقرأ وأطالع في كتاب "الدرر السنيّة" وكتب علماء نجد.

وفي ذلك الوقت ما رأيت كتابًا من كتب علماء نجد تقريبًا أكاد أجزم ما أريد أقول كل كتب علماء نجد قرأتها، ولكن لم أرَ أنا كتابًا من كتب علماء نجد في ذلك الوقت وأحفادهم وأحفاد الشيخ "محمد بن عبد الوهاب" وطلبته إلا واقتنيته واشتريته وقرأته وجردته، وكنت أُلخص بعض الفوائد التي تمرّ عليّ في مثل هذه المسائل التي كان تركيزي وذهني منكب عليها، فلذلك حقيقة كانت استفادتي كلها في بداية التوجه من هذه الكتب.

التفريغ العلمي
@convertatow

التفريغ العلمي
@convertatow

كتاب ملة إبراهيم على موقع المنبر

ولذلك إذا طالعت كتاب "ملة إبراهيم" الذي كان ثمرة هذه المطالعة أو أول ما كتبت في هذا الاتجاه ستجد أنّني ملّلتُ القارئ من الكم الهائل الذي استشهدت به من أقوال علماء نجد، قال الشيخ "محمد بن عبد الوهاب"، قال الشيخ "عبد الله بن سليمان بن عبد الوهاب"، قال الشيخ "عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ عبد الوهاب"، قال الشيخ "أبابطين"، قال الشيخ "سليمان بن سحمان"، قال "محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ"، قال...، أكرّر.

حتى أنا بعد ذلك بدأ يستقيم أمر التصنيف والكتابة عندي كلما أراجع كتاب "ملة إبراهيم" وأنظر إلى الحشد الهائل الذي أنا أرصّ فيه هذه النقولات، وحريص على تكرارها، فلا يُحمد أنّك تأتي بـ: (١٥، ١٦، ١٧، ٢٠) مقالة بنفس المعنى لمشايخ متكرّرين بنفس المعنى تكرّره وربما لو كانت هذه الدراسة وهذا المؤلف يعرض على بعض الأكاديميين في الجامعات وينتقد عند بعض المشرفين الذين يشرفون على الدراسات وعلى الرسائل ويقول لك لا داعي لتكرار هذا، خلاص يكفيك أن تنقل نقلين مهمين ما دام متشابهات، وتقول: قال كثير من علماء نجد أو من أتباع الدعوة الوهابية يقولون مثل هذا القول، وخلاص وتذكر في الهامش إذا أردت أن تعزو إلى المواضع بأرقامها، أما تكرّر وتكرّر وتكرّر!

وكان ذلك حرص مني على تأكيد هذه المعاني التي ربما سيقال لي أنت ابتدعتها أو أنت اخترعتها تأكيد أنّه ليس من عندي هذا الحكي، انظروا فلان يقول، وفلان يقول، وفلان كلهم أئمّة وأعلام الدعوة النجديّة، ليس الشيخ عبد الوهاب وحده، وليس الشيخ عبد الرحمن بن حسن وحده، وإنما اسمع، خذ، اسمع، خذ.

فأنت لمّا تقرأ تجد الحشد والكم الهائل، هذا كله كأنّما تمهيد لمّا سأقوله، ولمّا سأقرره وأنّي لم آتِ ببدع من القول، وكان عندي حساسيّة من الهجمة الشرسة التي أتوقعها، فتجدني في الهوامش في بعض الإطلاقات التي أطلقها أئمّة الدعوة النجديّة التي قد توهم التكفير في بعض المسائل التي لا تستحق التكفير، تجدني علّقت وأثبت هذه التعليقات في موضع أو موضعين، وجئت ربما بتعليقات بعض أئمّة الدعوة النجديّة أنفسهم عليها، فكان هذا هو أوّل التوجّه، وكان كتاب "ملة إبراهيم" هو باكورة المؤلّفات في هذا الباب، ويبدو تأثّري فيه ظاهرًا بكتب أئمة الدعوة النجديّة.

التفريغ العلمي
@convertatow

التفريغ العلمي
@convertatow

طبعًا البعض قال أنّ هذا كتاب "ملة إبراهيم" هو مثل لمّا سُئِل هذا الذي يحضر رسالة الدكتوراه عنّي، مسمّي نفسه بالعربي: "عطية الله"، "أبو داؤود عطية الله الهولندي"، هذا باحث هولندي يعمل رسالة دكتوراه عنّي اسمه: "يو اص فو" بالاسم الهولندي، قال لي: "أنّه هو سأل عن كتاب "ملة إبراهيم" بعض الناس السعوديين وغيرهم، عن أثري أنا في الجزيرة، فقال له البعض، ذكر منهم "مشاري الذايدي" -هذا عدويّ يكتب عنّي دائمًا، يسمّيني شيخ الإرهاب- قال: "إنّ عقيدة الولاء والبراء كانت نائمة فجاء هذا الرجل -يعنيني، أنا أنقل عن هذا الباحث الهولندي- يقول: فجاء هذا الرجل وهزّها هزًا عنيفًا"، هو هكذا يؤشّر هذا الهولندي، يقول: "جاء هذا الرجل -يعنيني- وجاء فهزّها هزًا" يعني أيقضها، هذا "مشاري الذايدي" يقول هذه العبارة لهذا الهولندي، ينقل هذه الهولندي، هذا يقول أنّك أنت -في كتاب الولاء والبراء- أنت نفضت هذه العقيدة نفضًا، وأحييتها إحياءً، ووجّهتها إلى الحكام وأنصارهم، عرفت كيف؟

كان ربّما في الجزيرة الولاء والبراء عن اليهود والنصارى فتأتي توجّه هذه العقيدة إلى نفس الحكام وأنصارهم وأجنادهم، فهكذا كان تصوّرهم عن هذا الكتاب، وأنا الذي جعلني أهزّها هزًا ليس مقالة العبد الضعيف ولكن هذا الشحن الهائل من أقاويل علماء نجد أردت به تعزيز هذه المعاني التي كتبتها بالكتاب، فأنا كنت أعيش في الكويت وأتردّد على الجزيرة، فأنا أخاطب آنذاك من يحترم هؤلاء المشايخ، ومن هؤلاء المشايخ هم قدوتهم، من أبا محمّد المقدسي آنذاك؟ لا أحد يعرف أبا محمد.

فإذًا قلت لهم: قال الشيخ "عبد الوهاب"، قال الشيخ "عبد الرحمن بن حسن"، قال الشيخ "سليمان بن سحمان"، قال الشيخ "حمد بن عتيق"، وقال وقال وقال وقال، هذا كلام وأنا ما جئت بشيءٍ من عندي، فلذلك حقيقة لقي الكتاب قبولاً في أول أمره لمّا طبع وتداولوه الشباب تصويرًا، كنت أروح لمناطق البدو في الصحراء في الجزيرة أجد الكتاب مصورًا، وموجودًا عندهم، حتى مرّة زرنا بعض إخواننا البدو، موحدين في وسط الصحراء، وكانوا يعيشون في بيوت شعر، فوجدت الكتاب عندهم على الأرض ومنزوعة منه الصفحة الأولى.

- فقلت: ما شاء الله وصل عندكم كتاب "ملة إبراهيم" هنا؟
- قال: نعم.
- قلت: وإيش الذي نزع الصفحة الأولى؟
- قال: والله، يا شيخ نحن ما عندنا هنا مكتبات، ولا عندنا رفوف، والكتاب مرّات نضعه على المسند، فدخلت العنز أكلت منه الصفحة الأولى.
- قلت: ما شاء الله، عنزكم طالبة علم! حتى عنزكم طالبة علم فكيف أنتم ما شاء الله؟!

التفريغ العلمي
@convertatow

التفريغ العلمي
@convertatow

فعلى كل حال؛ كان انتشر الكتاب انتشار النار بالهشيم، وصور، وطبع طبعات كثيرة؛ بعضها في لبنان، حتى طبع داخل فلسطين في مناطق الثمانية والأربعين، وطبع طبعات لا أعرف عددها، ولا أعرف مكانها، وترجم ترجمات حتى بالروسيّة، ترجم حتى بالبنغاليّة، بالإنجليزيّة، بالفرنسيّة، كثير من الإخوة يأتون يقولون ترجمناه.

لكن الطبعة الأولى كانت لهذا الكتاب في باكستان عندما ذهبت أول مرّة إلى أفغانستان أخذت معي نسخة من الكتاب فطبع هناك، وهذا له حديثه سيأتي لاحقًا عندما نتكلم عن مرحلة أفغانستان.

وأذكر أنه في مرحلة من المراحل قبل أن أطبع كتاب "ملة إبراهيم"، وقبل أن أنشره كان هناك نشاط مشترك بيننا في موضوع البرلمانات، كان يوجد انتخابات للبرلمان التي حصلت في فترة من الفترات، أردنا أن نكتب شيئًا منشورًا نوزعه عن أنّه لا يجوز للمسلمين أن يشاركوا في هذه الانتخابات، فكان يوجد كتاب للشيخ "سيد الغُباشي" عن حكم البرلمان المصري، مجلس الشعب المصري، كانت موجودة عندنا، فهذبناها واختصرناها وحذفنا ما يتكلم فيه عن مصر وجعلناها مهيأة ومناسبة للكويت، وقتها أنا كتبت مقدمة بنفسي لهذا الكتاب كانت مستخلصة ممّا كنت كاتبه ومجهزه من "ملة إبراهيم"، ولم يكن الكتاب مطبوعًا بعد، عن الولاء والبراء، والكفر والشرك ومفارقة أهله وإظهار العداوة لهم، هذه المعاني في مقدمة الكتاب كتبتها، وكان عنوان الكتاب -اختصرناه للكتاب وسمّيناه- باسم: "القول السديد في أنّ المشاركة في المجلس منافية للتوحيد"، كان هذا ما سميناه به، مع أنّ هذا عند التحقيق والتفصيل بعد ذلك مع خصومتي مع هذه الجماعة ومع أفراد من هذه الجماعة؛ يعني من الانتقادات التي انتقدوها عليّ تكفيري الجيش والشرطة، وقولي بتكفير أعضاء البرلمان.

وكنت أناقش بعضهم فأقول له: حسنًا؛ نحن طبعنا مع بعض هذا الكتاب!

قال: كنّا مخطئين.

بعضهم قال: كنّا مخطئين عندما طبعنا هذا الكتاب معك، بسبب العنوان لاحظ، كنت أقول ماذا يعني هذا العنوان عندكم؟! وإن كان التفصيل في الداخل نحن اختصرنا كلام الشيخ ووضعنا بعض الهوامش فيه، وضبطناها على واقع الكويت، والمقدمة لي والعنوان، فالعنوان واضح: "القول السديد في أنّ المشاركة في المجلس -مجلس الأمة- منافية للتوحيد"، حسنًا كيف ارتضيتم هذا الأمر منافي للتوحيد؟!

التفريغ العلمي
@convertatow

التفريغ العلمي
@convertatow

كتاب إبلاغ الحق إلى الخلق...

هذا الكتاب الأصلي الذي اختصرناه كان كتاب للسيد الغباشي، عنوانه الأصلي: "إبلاغ الحق إلى الخلق"، فنحن اختصرناه، حتى هذه الإشارات التي تراها واضحة على النسخة كانت هي الأجزاء التي أخذناها، اقتطعناها، وعلقنا عليها، وأخرجنا منها ذلك الكتاب الذي طبع آنذاك تحت عنوان: "القول السديد في أنّ المشاركة في المجلس منافية للتوحيد"، ووزّعناها آنذاك، وكان هذا أول نشاط مشترك مع الشباب بجماعة جهيمان، وحتى أنّها كانت ظاهرة جديدة على الكويت أن يخرج أناس ينافون ويخالفون المشاركة في الانتخابات، كان أسمى أمانيّ الكويتيين آنذاك أن يكون هناك برلمانًا وأن يكون هناك ديمقراطية و.. و.. و..، فتخرج أنت تسبح عكس التيار، وتبيّن أنّ هذا ليس من التوحيد، وأنّه لا يجوز المشاركة في هذه الانتخابات!

هذا أمر غريب ومستغرب، لذلك كتبت الجرائد عن هذا الأمر، أذكر بعض المقالات حتى سمّوا الكتاب باسمه ووزّع في بعض المقرّات الانتخابيّة، كانوا يعملون خيمًا ويذبحون ويعزمون المنتخبين، مثل ما يحصل في كل بلد.

فهذا كان شيئًا من الأنشطة التي جرت مع الجماعة، كذلك كنّا نتدارس -في هذا الملحق أو هذه المكتبة- بعض الكتب، ونقرأ بعد صلاة الفجر بعض الكتب، وكان عندهم أيضًا مكان في البرّ يسمّى: "جاخور" في عرف الكويتيين؛ "جاخور" عبارة عن مكان في البرّ يجعلون فيه غنمًا ربما، ويجعلون فيه خيلاً، فالخروج إلى البرّ في الربيع كان من الأمور المحببة عند الكويتيين.

أمّا هؤلاء فكان دائمًا عندهم هذا "الجاخور"، ربّما يكون الخميس، الجمعة يطلعون، يسهرون، يباتون فيه، يتعشون، فتحصل بعض الدروس، وتحصل بعض الجلسات التي تثار فيها بعض المواضيع، فكان في هذه الفترة أيضًا بعض أفراد جماعة جهيمان بعد حادث الحرم كانوا يجالسون أناسًا جديدين، فكان ينتقد بعضهم على بعض أنّهم يدخلون أولادهم مدارس الحكومة بما فيها من مفاسد، وأنا أعرف أنّ جماعة جهيمان كانوا يتركون مدارس الحكومة، وكانوا يتركون حتى الجامعات لمجرد أنّه ما تدخل الجامعة إلا بصورة، ولأجل ذلك هم أصلاً أنكروا عليّ الجامعة، يقال هم يتركون الجامعة الإسلاميّة لأجل أنّه لا تقبل في الجامعة إلا أن تصوّر صورة، وفيها مدرسون حليقون، فكيف أنت تدرس في جامعة فيها نساء، وفيها مدرسات، وفيها، وفيها...؟!

التفريغ العلمي
@convertatow

التفريغ العلمي
@convertatow

في هذه المرحلة تقريبًا كتبت كتابي: "إعداد القادة الفوارس بهجر فساد المدارس"، شجّعني على الكتابة في هذا الموضوع؛

- أولاً: كنت متأثرًا في الجماعة هذه ومرافقها.
- وكانوا متألمين؛ أنّه كثير من بعض أفرادهم الحديثين الذين يجالسونهم ويدخلون أولادهم المدارس.

فكتبت هذه الرسالة وفرحوا فيها لأنّها جاءت موافقة لهم، وكتبتها، وهذه مطبوعة منشورة إلى اليوم.

***

ترقبوا قريباً

-إن شاء الله تعالى-

الحلقة الثالثة ...

التفريغ العلمي
@convertatow

التفريغ العلمي
@convertatow